(وسيرت الجبال فكانت سرابا [20]) التسيير : جعل الشيء سائرا أي ماشيا . وأطلق هنا على النقل من المكان أي نقلت الجبال وقلعت من مقارها بسرعة بزلازل أو نحوها كما دل عليه قوله تعالى (يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا) حتى كأنها تسير من مكان إلى آخر وهو نقل يصحبه تفتيت كما دل عليه تعقيبه بقوله (فكانت سرابا) لأن ظاهر التعقيب أن لا تكون معه مهلة أي فكانت كالسراب في أنها لا شيء .

والقول في بناء (سيرت) للمجهول كالقول في (وفتحت السماء) .

وكذلك قوله (فكانت سرابا) وهو كقوله (فكانت أبوابا) .

والسراب : ما يلوح في الصحاري مما يشبه الماء وليس بماء ولكنه حالة في الجو القريب تنشأ من تراكم أبخرة على سطح الأرض . وقد تقدم عند قوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) في سورة النور .

(إن جهنم كانت مرصادا [21] للطغين مئابا [22] لبثين فيها أحقابا [23]) يجوز أن تكون جملة (إن جهنم كانت مرصادا) في موضع خبر ثان ل (إن) من قوله (إن يوم الفصل كان ميقاتا) والتقدير : إن يوم الفصل إن جهنم كانت مرصادا فيه للطاغين والعائد محذوف دل عليه قوله (مرصادا) أي مرصادا فيه أي في ذلك اليوم لأن معنى المرصاد مقترب من معنى الميقات إذ كلاهما محدد لجزاء الطاغين .

ودخول حرف (إن) في خبر (إن) يفيد تأكيدا على التأكيد الذي أفاده حرف التأكيد الداخل على قوله (يوم الفصل) على حد قول جرير : .

إن الخليفة إن ا سربله ... سربال ملك به تزجى الخواتيم ومنه قوله تعالى (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن ا يفصل بينهم يوم القيامة) كما تقدم في سورة الحج . وتكون الجملة من تمام ما خوطبوا به بقوله (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) .

والتعبير ب (الطاغين) إظهار في مقام الإضمار للتسجيل عليهم بوصف الطغيان لأن مقتضى الظاهر أن يقول (لكم مئابا) .

ويجوز أن تكون مستأنفة أستئنافا بيانيا عن جملة (إن يوم الفصل كان ميقاتا) وما لحق بها لأن ذلك مما يثير في نفوس السامعين تطلب ماذا سيكون بعد تلك الأهوال فأجيب بمضمون (إن جهنم كانت مرصادا) الآية . وعليه فليس في قوله (للطاغين) تخريج على خلاف مقتضى الظاهر .

وابتدئ بذكر جهنم لأن المقام مقام تهديد إذ ابتدئت السورة بذكر تكذيب المشركين بالبعث ولما سنذكره من ترتيب نظم هذه الجمل .

وجهنم : اسم لدار العذاب في الآخرة . قيل وهو اسم معرب فلعله معرب عن العبرانية أو عن لغة أخرى سامية وقد تقدم عند قوله تعالى (فحسبه جهنم ولبئس المهاد) في سورة البقرة .

والمرصاد A E مثل الفعل آلة اسم في غلب الذي مفعال بوزن وهو الرقابة أي الرصد مكان : مضمار للموضع الذي تضمر فيه الخيل ومنهاج للموضع الذي ينهج منه .

والمعنى : أن جهنم موضع يرصد منه الموكلون بها ويترقبون من يزجي إليها من أهل الطغيان كما يترقب أهل المرصاد من يأتيه من عدو .

ويجوز أن يكون مرصاد مصدرا على وزن المفعال أي رصدا . والإخبار به عن جهنم للمبالغة حتى كأنها أصل الرصد أي لا تفلت أحدا ممن حق عليهم دخولها .

ويجوز أن يكون مرصاد زنة مبالغة للراصد الشديد الرصد مثل صفة مغيار ومعطار وصفت به جهنم على طريقة الاستعارة ولم تلحقه (ها) التأنيث لأن جهنم شبهت بالواحد من الرصد بتحريك الصاد وهو الواحد من الحرس الذي يقف بالمرصد إذ لا يكون الحارس إلا رجلا .

ومتعلق (مرصادا) محذوف دل عليه قوله (للطاغين مئابا) .

والتقدير : مرصادا للطاغين وهذا أحسن لأن قرائن السورة قصار فيحسن الوقف عند (مرصادا) لتكون قرينة .

ولك أن تجعل للطاغين متعلقا ب (مرصادا) وتجعل متعلق (مئابا) مقدرا دل عليه (للطاغين) فيكون كالتضمين في الشعر إذ كانت بقية لما في القرينة الأولى في القرينة الموالية فتكون القرينة طويلة .

ولو شئت أن تجعل للطاغين متنازعا فيه بين (مرصادا) أو (مئابا) فلا مانع من ذلك معنى .

وأقحم (كانت) دون أن يقال : إن جهنم مرصاد للدلالة على أن جعلها مرصادا أمر مقدر لها كما تقدم في قوله (إن يوم الفصل كان ميقاتا) . وفيه إيماء إلى سعة علم ا تعالى حيث أعد في أزله عقابا للطاغين